دكتور عبد الرازق أبو زيد زايد

# علم البديع

## نشأته وتطوره
## من ابن المعتز حتى أسامة بن منقذ

١٩٧٧

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية

# الإهداء

إلى التي أنا جزء منها

إلى من نتقرب إلى الله بحبها

إلى صاحبة الفضل . . والفضل إليها يعود

إلى أمي الغالية أهدي هذا الكتاب

عبد الرازق أبو زيد

# المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ، وبعد ....

فالذى لاشك فيه أن « العربية » لقيت من اهتمام أصحابها مالم تلقه لغة فى قديم ولا فى حديث ، فقد توفروا عليها جمعا وتصنيفا ، وتحليلا فى كل مايتصل منها بسبب .

ومن الحقائق المقررة أن علوم العربية نشأت فى خدمة النص القرآنى الكريم ، إذ انطلق المسلمون يدرسون العربية فى سبيل الوصول إلى فهمه ومعرفة أحكامه ، وقد جاء القرآن معجزة فى البيان العربى ، على مانعرفه من تحديه لقدراتهم اللغوية من مثل قوله عز وجل : ( وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ) .(١)

كان القرآن إذن مدار العلم العربى ، فى ظله نشأ النحو والصرف والبلاغة والفقه ، ومن أجله دوّن الحديث . وظهر الكلام وظهرت علوم العربية المختلفة . ولما كانت هذه العلوم جميعها واحدة النشأة — على الأغلب — فإنها كانت تتأثر بعضها بالبعض الآخر أكثر من تأثرها بمصادر خارجية . فضلا

---

(١) سورة البقرة ( آية ٢٣ ، ٢٤ ) .

عن أن أسلافنا القدماء كان الواحـــد منهم يجمع بين معظمها فى أغلب الأحوال .

والبلاغة علم من هذه العلوم التى نشأت فى ظل القرآن . إذ كانت غايتها الأولى البحث فى الأسلوب القرآنى لبيان خصائصه الجمالية . والوصول إلى مناط الاعجاز فيه . وأخذ العلماء يتقابعون واحدا إثر واحد ، يطورون هذا العلم ، ويوضحون مصطلحاته ، ويفرعونه فروعا ، ويؤصلون مناهجه .

وفى العصر الحديث . بدأت الدراسات الجامعية تهتم بالعـــلوم العربية إيمانـا بأن درس القـديم هو الأساس السليم لفهم الجديد ، أو لتطوير القديم .

ومن الحقائق المعروفة أن « البديع » فرع من البلاغة العربية له أهميته من الدرس . لأن له منهجا وغاية كان يسير عليها القدماء . ولعلّ الذى دفع بالباحثين المحدثين إلى إغفاله هو ماوقر فى أذهان كثير منهم — نتيجة مرحلة الانحطاط الأدبى فيما قبل العصر الحديث — أنه أحد مظاهر هذا الانحطاط وسبب من أسبابه.

والذى لاشك فيه أن النظر إلى البديع على هذا الأساس فيه قدر غير ضئيل من مجافاة المنهج العلمى . لأننا لم نبحث بعد نشأة هذا العلم وتطوره ومناهجه حتى يصح لنا الحكم عليه حكما يتسق مع مايتوافر لدينا من مواد . فضلا عن أن المحدثين لم ينكروا — فيما نحسب — أهمية البديع فى الدرس البلاغى . أو فى الدرس النقدى على وجه العموم . ولايزال النظر فى « الشكل والمضمون » يستدعى ضرورة درس البديع .

من هذا الفهم كان تقدمى لدرس هذا الموضوع . فى محاولة لتأريخ فترة



من حياة علم البديع . مقدرا أن محاولة تأريخه شاملا لاتتلاءم مع البحث الجامعى المتخصص .

وعلى هذا الأساس كان اختيارى لعنوان الموضوع على هذا النمط :

« علم البديع نشأته وتطوره من ابن المعتز حتى أسامه بن منقذ » .

ولما كانت أجزاء البحث تبدأ كما تنتهى بعلم من أعلامه فقد قسمت الأبواب حسب ماقدم هؤلاء الأعلام من مؤلفات . ومن ثم كان تقسيمى البحث إلى ثلاثة أبواب ، يتناول كل باب منها الكتب التى ظهرت فى مرحلته التاريخية . بحيث يمكن أن تؤدى هذه الأبواب إلى الوصول إلى تصور واضح لتطور البديع .

ووفقا لهذه الرحلة الزمنية التى سارها علم البديع منذ نشأته حتى القرن السادس الهجرى ، جعلت الباب الأول خاصا بنشأته حتى نهاية القرن الثالث حيث يمثل الجاحظ فى منتصف هذا القرن نقطة فاصلة فى تاريخ هذا العلم . وجعلته فصلين ، عرضت فى الفصل الأول للبديع قبل ابن المعتز . فتناولت معنى مصطلح البديع . ثم البديع عند الجاحظ . وختمته بالبديع عند الرواة : أبى عبيدة ، والأصمعى ، والمبرّد ، وثعلب .

ثم جعلت الفصل الثانى للحديث عن كتاب « البديع » لابن المعتز باعتباره أول كتاب يحمل هذا الاسم .

وبعد مرحلة التكوين الأولى وظهور المصطلح على مابينا فى الباب الأول سار البديع فى رحلته الزمنيه . حيث تضافرت بيئات فكرية متعددة فى معالجته

وتطويره . ومن ثم جعلت الباب الثانى خاصا بالحديث عن « البديع » فى ظل هذه البيئات بحيث يتبين لنا تأثير الحياة العربية والإسلامية فى تحديد ميدان العلم ، وقسمته سبعة فصول ؛ تحدثت فى الفصل الأول عن هذه البيئات : بيئة الأدباء ، وبيئة المتفلسفه ، وبيئة المتكلمين ، وبيئة النقاد . وأثر كل بيئة فى تطور علم البديع .

ثم توالت الفصول الستة الأخرى بحيث يختص كل فصل منها بدراسة كتاب ينتمى إلى هذه البيئات . فتناولت فى الفصل الثانى كتاب « عيار الشعر » لابن طباطبا العلوى (ت ٣٢٢ هـ) . وفى الثالث « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) . وفى الرابع كتاب « البرهان فى وجوه البيان » لاسحق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب المعاصر لقدامة .

وفى الفصل الخامس درست البديع فى كتاب « الموازنة بين أبى تمام والبحترى » لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى (ت ٣٧١ هـ) . ثم درسته فى « صناعة الشعر » لأبى أحمد العسكرى (ت ٣٨٢ هـ) . وأخيرا حيث الفصل السابع دراسة البديع فى كتاب « الصناعتين » لأبى هلال العسكرى (ت ٣٩٥هـ) .

وبعد هذه المرحله التى يمثلها الباب الثانى بدأ علم البديع يسلك طريقه نحو الاستقرار . وقد استغرق ذلك فترة زمنية هى تلك التى حددتها نهاية لهذا البحث . وقد رأيتها تقف عند أسامه بن منقذ . ومن ثم جعلت عنوان الباب الثالث . « من الباقلانى إلى أسامة بن منقذ » وقسمته خمسة فصول ، عرضت فى الفصل الأول للبديع عند عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١ هـ)



فى كتابيه « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » ثم الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) فى تفسيره « الكشاف » . ودرست فى الفصل الثانى كتاب « إعجاز القرآن » لابى بكر محمد بن الطيب الباقلانى (ت ٤٠٣ هـ) ، ثم عرضت فى الثالث لفنون البديع فى كتاب « العمدة » لابن رشيق القيروانى (ت ٤٦٣ هـ) .

وفى الفصل الرابع تناولت ألوان البديع فى كتاب « سر الفصاحة » لابن سنان الخفاجى (ت ٤٦٦ هـ) . ثم وصلت إلى نهاية هذه المرحلة بالحديث عن البديع فى كتاب « البديع فى نقد الشعر » لأسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) .

وأحسب أن تقسيم البحث على هذا الأساس — يساعد على تصور المراحل الزمنية التى سلكها علم البديع من حالة النشأة الأولى إلى فترة النمو فى أحضان البيئات الثقافية المتعددة . وإلى مرحلة الاقتراب من الاستقرار المنهجى . وأحسب أيضاً أن هذه المراحل تمثل الفترة المهمة فى تاريخ علم البديع على ما فيها صعوبة تصفية المادة البديعية من كثير من المواد الأخرى التى كانت تحفل بها الكتب التى عرضناها فى فصول البحث.

وأخيرا أنهيتُ الدراسة بخاتمة حاولت فيها أن أقدم مختصراً لحياة هذا العلم ومنهج علمائنا فيه .

ولست أرانى فى حاجة إلى تبيين مالقيته فى إعداد البحث — من صعوبات ، فالذين يتصلون بمثل هذا العلم فى أصولة القديمة يدركون ذلك خير إدراك. ولست أدعى أنى وصلت إلى شىء يخلو من النقص أو العيب ، ولكن حسبى أنى حاولت وجهدت ما وسعنى الجهد . وكل ما أرجوه أن